٣٠٤١٤

المورد

مجلة تراثية فصلية . تصدرها وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية - المجلد الرابع — العدد الاول ١٣٩٥ — ١٩٧٥

(عقل سرخ) : لشهاب الدين السهروردي

ترجمـــة

علي عبدالحسين

التقديم :

نحمدك اللهم على كبير رعايتك ، وحسن توفيقك ، وبعد ..

هذه ترجمة لرسالة (عقل سرخ) للشيخ شهاب الدين ابي الفتح يحيى بن حبش بن اميرك (١) السهروردي المقتول(٢) بحلب سنة ٥٨٧ هـ (٣) .

واصل هذه الرسالة مخطوطة ضمن مجموعة محفوظة لدى المكتبة الوطنية بطهران يرجع تاريخ نسخها الى حدود سنة ٦٥٩ ش ، وقد كتبت بخط معتاد ، وهي نسخة تامة تتالف من سبع عشرة صفحة من القطع الصغير . عدد الاسطر في الصفحة الواحدة (١٩) سطرا وهي عبارة عن انصاف سطور . تم صورتها جمعية (محبي الكتاب) ، ونشرتها في سلسلتها الخامسة مع مقدمة للدكتور (محسن صبا) ، مراعية في ذلك مقابلة كل صفحة من المخطوط بصفحة مطبوعة بالحروف .

صورت هذه الرسالة وطبعت بمطبعة (المصرف الوطني الايراني) في سنة ١٣٣٢ الشمسية الفارسية .

للسهروردي ـ فضلا عن هذه الرسالة ـ كتب ورسائل عديدة اخرى ، كتب اغلبها بالعربية ، وما وضعه بالفارسية منه ما ترجم للعربية ، ومنه ما لم يترجم كما هو الحال في رسالته (عقل سرخ) ـ وفي حدود معرفتي بذلك ـ

اما مؤلفاته الكبرى : التلويحات ، المقاومات ، المطارحات ، حكمة الاشراق .

ومن الكتب : الالواح العمادية ، هياكل النور ، اللمحات ، المناجاة ، كلمة التصوف ، اعتقاد الحكماء .

ومن الرسائل : اصوات اجنحة جبرائيل ، الغربة الغربية ، الكلمة الذوقية ، لغت موران ، مؤنس العشاق ، رسالة في حالة الطفولة ، رسالة عن جماعة الصوفية ، رسالة الطير ، صفير سيمورغ (٤) .

واما رسالته هذه ـ والتي نتقدم بترجمتها للقارىء الكريم ـ فانها من الرسائل التي ضمنها السهروردي رموزا واشارات التعبير عن مذهبه الاشراقي (٥) الذي يعد فرعا من فروع التصوف (٦) ، ربما امتاز عنه ـ فيما بعد ـ بما جعله طريقا مستقلا للمعرفة والكشف عن حقائق الوجود ، لما عرف عن التصوف الاسلامي من تاثره بالمعرفة الاغريقية وخاصة بالافلاطونية ، ومن تاثره بمذاهب الفرس والهنود والصينيين كالزردشتية والبوذية والبراهمانية شانه في ذلك شان الفلسفة الاسلامية عموما (٧)

من المفيد ان اذكر ـ ختاما ـ باني لاحظت في ترجمتي مطابقة النص في كل المواضع الا ما كان من بعض حروف العطف ، وبعض العبارات تكرارا لا بقيد المعنى ، فحذفتها او استبدلتها بحروف وعبارات موافقة ومطابقة ، وبما ان الرسالة بلغت حدا من الايجاز كبيرا فاحتشدت بذلك معان كثيرة في الفاظ قليلة ، لا سيما وانها في موضوع يشكل فهم العبارة فيها ـ في كثير من المواضع ـ على من ليس له المام بالاساليب الفارسية في القرن السادس الهجري ، اضافة الى ما تتحمله الالفاظ من معان صوفية واشراقية لها مدلولها الخاص (٨) ، فاني تيقنت ان بعض التقديم والتاخير في الجملة او العبارة غير ضائر ـ ان شاء الله ـ .

واشرت في قليل من الهوامش الى بعض ما يتطلبه النص من توضيح مستصوبا ـ في ذلك ـ ما وصل اليه فهمي للعبارة او الجملة ..

---

(١) اميرك : تصغير لامير ، ويطرد التصغير في الفارسية باضافة « كاف » الى اخر الكلمة ، نحو : وزير وزيرك ، پسر پسرك ، دختر دخترك .

(٢) لقب بالمقتول تمييزا له من الشهيد .

(٣) انظر في ترجمته :
وفيات الاعيان ـ لابن خلكان ـ ٣ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، مرآة الجنان ـ لليافعي ـ ٣ ، ٢٣٤) ، آثار البلاد ـ للقزويني ـ طبع وستنفلد ، شذرات الذهب ـ لابن العماد ـ) : ٢٩٠ ، دائرة معارف البستاني ـ مادة « السهروردي » ـ ، دائرة المعارف الاسلامية ـ مادة

(٤) ينظر في ثبت مؤلفاته ونسبتها اليه وتسلسلها في مقام =

= التاليف : اصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردي ـ للدكتور محمد علي ابوريان ـ ص٤٣ وما بعدها الى ص ٥٧ .

(٥) ينظر في هذا المذهب واصوله : كتاب الدكتور محمد علي ابو ريان « اصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردي »

(٦) ينظر في التصوف : الصوفية في الاسلام ـ لنيكلسون ـ ترجمه نورالدين شربية ، القاهرة ١٩٥٦ ، التصوف الاسلامي ـ للدكتور زكي مبارك ، طبع صيدا .

(٧) ينظر في تاريخ واصول الفلسفة الاسلامية : تاريخ الفلسفة في الاسلام ـ لديبور ـ ترجمةعبدالهادي ابو ريدة ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ـ لمصطفى عبدالرازق ، القاهرة ١٩٦٦ ، اصول الفلسفة العربية ـ ليوحنا قمر ـ ، بيروت الكاثوليكية .

(٨) يكفي ذكر ما قاله احمد امين عن اسلوب السهروردي « واسلوبه اسلوب غامض حتى لهو اغمض من اسلوب المتصوفة والفلاسفة المسلمين الاخرين » حي بن يقظان ـ لابن سينا وابن الطفيل والسهروردي ـ ص ٨ .

نص الرسالة :

هذه رسالة موسومة بعقل سرخ(٩)

للشيخ الالهي الرباني شـــهاب الدين السهروردي

حمدا للمـلك الذي ملك العـــالمين(١٠) في تصرفه . كان كل من كان من كونه كان ، ووجود كل موجود من وجوده ، وكون كل من يكون من كونه يكون . هوالاول [و] الاخر ، والظاهر والبـاطن ، وهو بكل شيء بصير .

والصلاة والسلام على رسله لخلقه ، خاصة على محمد المختار الذي ختمت به النبوة ، وعلى الصحابة وعلماء الدين رضوان الله عليهم أجمعين .

صديق من لاصدقاء الاعزة سالني : هل الطير تفهم منطق بعضها بعضا ؟ قلت : بلى تفهم ، قال : من اين علمت بذلك ؟ قلت :

في ابتداء الحال حين شاء المصور ـ حقيقة ـ ان يظهرني من عدمي خلقني على صورة بازي ، وفي تلك البلاد التي كنت فيها كانت ابواز اخرى ، قد تكلمنا بعضنا مع بعض ، وسمعنا ، وكنا نفهم كلام بعضنا الاخر . قال : كيف وصل المثال ـ بعـــد ذلك ـ الى هذا المقام ؟ قلت : في يوم بسط صيادو القضاء والقدر شبكة التقدير [المقدر] وعباوا فيها حبة الارادة فاسروني بهذه الوسيلة .

بعد تلك البلاد التي كانت وكرا لنا حملونا الى بلاد اخرى . عندها خاطوا عيني ، ووضعوا عليّ اربعة اغلال متخالفات (١١) . ووكلوا بي عشرا، خمساً وجوههم قبلي وظهورهم للخارج ، وخمساً ظهورهم خلفي [ووجوههم للخارج] . هـــذه الخمسة التي وجوهها قبالي وظهورها للخارج . (١٢) وضموني حينذاك في عالم من الحيرة بالقدر الذي نسيت فيه وكري وتلك البلاد وكل ما كان معلوما لدي ، اتخيل اني كنت دوماً هكذا .

وبعد مضي مدة على هذه الحال فتحوا قليلا من عيني ، كنت ارى بذلك القدر المفتوح منها ، اشياء كنت اراها ما رايتها من قبل ، فاتعجب من ذلك ، وفي كل يوم كانوا يفتحون قدرا قليلا من عيني اكثر من ذي قبل ، وكنت ارى اشياء اظل متعجبا منها .

اخيرا فتحوا كل عيني واظهروا لي العالم على صفته هذه . كنت انظر الى الاغلال التي وضعوها عليّ ، والى الموكلين ، اقول لنفسي : يبدو انـه ما كانوا ليطرحوا عني هذه الاغلال الاربعة المتخالفة ولا ليبعدوا عني هؤلاء الموكلين فينفتح جناحـــي بالشكل الذي اطير لحظة في الهواء ، ويحل عنـــي قيـــدي .

بعد مدة وجدت الموكلين يوماً عني غافلين ، قلت : لا اجد سانحة افضل من هذه . زحفت الى طرف ، وهكذا اغلالي عليّ ، وجهت وجهي ـ وانا اعرج ـ صوب الصحراء .

وفي تلك الصحراء لمحت شـــخصا مقبلا ، توجهت اليه ، وسلمت عليه ، فرد الجواب باكمل لطف ، عندما امعنت النظر الى ذلك الرجل وجدت لحيته حمراء ، ولون وجهه كذلك ، ظننته شاباً ، قلت : ايها الشاب من اين تقبل ؟ قال : اي بني ، هذا خطاب خطأ ، انا اول ابن للخلق ، انت مازلت تخاطبني شابا ؟ ، قلت : لم لا تبدو لحيتك بيضاء وانا عجوز نوراني ، ولكن الذي اسرك في الفـــخ ووثقك بحبال متخالفات وفوض امر حراســـتك للموكلين ، قد القاني زمناً طويلا في بئر مظلمة ، ولوني الاحمر الذي تراه بسبب ذلك ، والا فانـا ابيض نوراني ، وكل ابيض يتعلق بـــه النور اذا اختلط باسود يبدو احمر ، فشـــفق الغروب او الشروق الذي هو ابيض وبه يتعلق نور الشمس ، وطرف منه بجانب النور الذي هو ابيض ، وطرف بالجانب الاخر الذي هو اسود ؛ لذا يبدو احمر(١٣)

وجرم(١٤) القمر حين يكون بدرا وقت طلوعه وان كان نوره استعارة ، لكنه موصوف بالنـــور ايضا ، وطرف منه للنهار ، وطرف لليل يبـــدو احمر(١٥) . وللسراج الصفة ذاتها ، اسفله ابيض واعلاه للدخان اسود ، وبين اللهب والدخان يبدو احمر ، ولمثل هذا كثير من الاشياه والنظائر .

---

(٩) المقصود من التسمية « عقل الرجل ذي الوجه الاحمر » والعقل : هو الادراك والمعرفة على طريقة اهل التصوف والاشراق .

(١٠) عالم الدنيا وعالم الاخـرة

(١١) سيتبين للقارىء ـ فيما بعد ـ ان هذه الاغلال هي عبـارة من حلق متصل بعضها مع بعض على هيئة درع .

(١٢) العبارة ساقطة في (الاصل) ، ولذا تبدو الجملة غير واضحـــة .

(١٣) اي الطرف الاخر .

(١٤) الجرم ـ بالكسر ـ الجسد ، جمعه : اجرام وجروم وجُرُم . القاموس ٤/٨٨ .

(١٥) اي الطرف الملاصق لليل .

بعد ذلك قلت : ايها العجوز من اين تقبل ؟ قال : من خلف جبل (قاف) الذي مقامي فيه ووكرك كان هناك كذلك ، لكنك نسيت . قلت : ما تفعل في هذا المكان ؟ ، قال : انا سائح دائم التطواف حول العالم وارى العجائب ، قلت : ما شاهدت من عجائب الدنيا ؟ قال : سبعة اشياء :

الاول : جبل (قاف) الذي هو بلادنا .
الثاني : الجوهرة المضيئة الليل (١٦) .
الثالث : شجرة الطوبي (١٧) .
الرابع : المصانع الاثنا عشر .
الخامس : الدوع الداودية .
السادس : سيف (بلادك) .
السابع : ماء الحياة .

قلت : احك لي عنها شيئاً ، قال : الاول : جبل (قاف) ، ويظهر محيطاً بالعالم وهو احد عشر جبلا ، فاذا تخلصت من الفل تذهب الى ذلك المكان لانهم اتوا بك من هناك ، وكل موجود غايته العود الى هيئته الاولى .

سالت : كيف المسير الى هناك ؟ قال : الطريق صعب ، فامامك ـ اولا ـ جبلان هما من جبل قاف ، احدهما قائظ المناخ ، والآخر باردة ، وليس لحرارتهما وبرودتهما من حد . قلت : حسنا ، اشتو بالجبل القائظ واصطاف بالجبل البارد ؟ ، قال : اخطات ، مناخ تلك البلاد ثابت في كل الفصول . سالت : كم تكون مسافة هذا الجبل ؟ قال : بمقدار ما يمكنك الوصول ـ كاشف الوجه ـ الى المقام الاول ، كذلك (الفرجار)(١٨) الذي احد راسيه على نقطة المركز ورأسه الآخر على الخط ، كلما دار وصل الى النقطة التي بدا منها اولا .

قلت : هذه الجبال هل بالامكان خرقها والخروج من هذا الخرق ؟ قال : لا يمكن خرقها، اما من له الاستعداد فبلحظة يستطيع من الاجتياز دون ان يخرقها ، مثل دهن البلسان(١٩) الذي لو عرضت باطن الكف للشمس حتى يسخن وأرقت فيه قطرة من هذا الدهن ، لخرجت من ظاهر الكف ؛ لخصوصية موجودة فيه لذا لو تحصل على خصوصية اجتياز ذلك الجبل ، لاجتزت الجبلين في لمحة واحدة . قلت : كيف الحصول على تلك الخصوصية ؟ قال : خلال الحديث اذكر لك ، اذا فهمت ، قلت : ان اجتزت هذين الجبلين ايكون سهلا ذلك الاخر ام لا ؟ قال : يكون سهلا ، ولكن على من يعرف . بعض يظل اسيرا في هذين الجبلين ، واخرون يصلون الى الجبل الثالث وهناك يستقرون ، وبعض اخر يصل الى الرابع والخامس، وهكذا ... الى الحادي عشر . كل طير اذكى من قرينه اكثر تدرجاً .

قلت : بعد أن شرحت لي عن جبل قاف ، احك لي عن الجوهرة المضيئة الليل ، قال : الجوهرة المضيئة الليل في جبل قاف كذلك ، لكنها في الجبل الثالث ، ومن وجودها يضيء الليل المظلم ، لكنها لا تبقى على حال واحدة ، ضوؤها [نورها](٢٠) من شجرة الطوبى . متى ما تكن قبل شجرة الطوبى فمن هذا الطرف الذي انت فيه تبدو مضيئة تماماً كمثل كرة مستديرة مضيئة ، فان يقع جزء منها الى اقرب جهة تكون اقرب الى شجرة الطوبى ، يبد قدر من الضوء اسود جهة هذا الطرف الذي انت فيه ، اما جهة شجرة الطوبى فيكون نصفها مضيئاً كذلك . فان وقع تمامها الى جانب شجرة الطوبى ، فتمام جهتك تبدو سوداء وجهة شجرة الطوبى مضيئة . وعندما تذهب مجددا عن الشجرة تبدو مضيئة قدرا ، وكلما تبتعد عن الشجرة تجاهك يزداد ضوؤها ، لا لان النور كله في ازدياد ولكن جرمها يتسع لنور اكثر ويقل السواد فيه ، وهكذا ... الى ان تقع ايضاً قبل الشجرة(٢١) حينذاك يحل النور تمام جرمها .

ومثال هذا ان تثقب كرة من وسطها وتضع شيئاً في ذلك الثقب ، ثم تملأ قدحاً من ماء وتضع هذه الكرة فوق القدح بهيئة يكون نصفها في الماء ؛ الآن ، وفي لمحة يصل الماء عشر مرات الى كل

---

(١٦) من مصطلحات الصوفية (الدرة البيضاء) وتعني عندهم (العقل الاول) .
(١٧) اسم شجرة في الجنة . القاموس ٩٨/١ .
(١٨) او الفرجال : الة هندسية معروفة تستعمل لرسم الدوائر .
(١٩) جاء في القاموس المحيط للفيروز ابادي : ٢٠١/٢ « البلسان : شجر صغار كشجر الحناء لا ينبت الا بعين شمس ظاهر القاهرة ، يتنافس في دهنها » .
(٢٠) « النور كل وارد الهي يطرد الكمون عن القلب » الاصطلاحات الصوفية ، ملحق بكتاب التعريفات للجرجاني، طبع تونس ١٩٧١ . و « نور النور هو الحق تعالى » التعريفات ص ١٢٨ .
(٢١) يمكن تصور حركة الجوهرة حركة شبه مستديرة لها نقطة اقتراب من الشجرة كالماس للدائرة .

اطراف الكرة ؛ أما اذا ما رآها احد من تحت الماء ، فعلى الدوام يرى نصف كرة في الماء ، كذا لو ينظر ذلك الناظر الى داخل القدح من تحت وبصورة مستقيمة يشاهد جزءا منها منطرفة الى وجهة في داخل القدح .

لا يمكن رؤية نصف كرة في الماء بالقدر الذي تميل فيه ـ داخل القدح ـ الى طرف . لا يمكن رؤية بعض من تلك الكرة الذي ليس امام بصر الناظر ؛ ولكن عوضاً من ذلك يرى من الطرف الاخر قدرا من الماء خالياً ؛ وكلما يكثر من النظر الى جانب القدح يرى في الماء اقلها ، وخالياً من الماء اكثرها ؛ فلو نظر باستقامة من جانب القدح لرأى نصفاً في الماء ، ونصفاً خالياً من الماء ؛ فان نظر مجدداً الى اعلى جانب القدح ؛ فهي الماء يرى اقلها ، وخالياً من الماء اكثرها ، الى ان يرى الكرة بتمامها في الوسط الاعلى للقدح ، هناك يشاهد تمام الكرة خالية من الماء .

لو قال احد : انه ـ من تحت قدحه ـ لايمكن رؤية الماء ولا الكرة ؛ نحن بذلك التقدير نقول : ان يمكنه الرؤية . ان كان القدح من زجاج او من شيء ارق ؛ فمتى ما كانت هناك كرة وقدح ، فالناظر يدور حواليهما ، لكي يمكنه النظر بهذا النحو .

اما هناك فالجوهرة المضيئة الليل ، وشجرة الطوبى تظهران دائرتين حوالي الناظر . ثم قلت للعجوز : ما هي شجرة الطوبى(٢٢) ؟ واين تكون؟ قال : شجرة الطوبى شجرة عظيمة ، كل من كان من اصحاب الجنة ، اذ ما ذهب [اليها] رأى تلك الشجرة في الجنة . ، وفي هذه الاحد عشر جبلا التي شرحنا عنها جبل هي في ذلك الجبل . قلت : هل فيها ولو قليلا من الفاكهة ؟ قال : كل فاكهة انت تراها في العالم تكون على تلك الشجرة ؛ وهذه النواكه التي امامك كلها من نتاجها ؛ لو لم تكن تلك الشجرة لما كانت امامك فاكهة ابدا ، ولا شجر ، ولا رياحين ، ولا نبات . قلت : ما علاقة الفاكهة والشجر والرياحين بها ؟ قال : السيمرغ(٢٣) له وكر فوق [شجرة] الطوبى . عند الفجر يخرج السيموغ من وكره ويبسط جناحيه على الارض ، وليبسطه جناحه تظهر الفاكهة على الشجر ، والنبات على الارض .

قلت للعجوز : سمعت ان (زالا) رباه السيمرغ ، و (رستم) قتل اسفنديار بمعونة السيمرغ(٢٤) قال العجوز : بلى صحيح ، قلت : كيف كان ذلك ؟ قال : حينما خرج زال من امه الى الوجود كان ذا لون شعر ابيض ولون وجه كذلك . امر ابوه [سام] بأن يلقوه في البيداء . وامه كذلك كانت متألمة كثيرا من وضع حملها . حسين رات الولد باكي اللقيا رضيت به . فالقي بزال في الصحراء . كان فصل شتاء وبرد . ما ظن احد انه يبقى حيا زمناً . حين انقضت بضعة ايام فرغت امه من الالم ، حل في قلبها حنان ولدها . . . اصير مرة الى الصحراء وأنظر الى حال ولدي ؟ ، حينما صارت الى الصحراء رات الولد حياً والسيمرغ آخذاً اياه تحت جناحه . عندما وقع نظره على امه ابتسم ابتسامة . احتضنته امه وارضعته . ارادت ان تجلبه الى البيت ؛ ثم قالت : ما لم يصر معلوماً لدي كيف كانت حال زال الذي بقي حياً في بضعة الايام هذه ، لم اصر الى البيت . ادخلت زالا في ذلك لمكان تحت جناح السيمرغ ؛ ثم اخفت نفسها في مكان قريب ؛ عندما حل الليل وفر السيمرغ من تلك البيداء جاءت الى زال غزالة ووضعت ثديها في فيه ؛ حينما وضع زال جعلت نفسها عليه بكيفية ما لحق زالا فيها اي ضرر . قامت امه وابعدت الغزالة من الولد ، وجاءت بالولد الى البيت . قلت للعجوز : ما كان سر ذلك ؟ قال العجوز : اني سألت السيمرغ عن هذا الامر ، قال السيمرغ : ولد زال امام نظر الطوبى ، وما تركناه ليهلك ، اخذنا [حمل] الغزالة من يد الصياد ووضعنا مودة زال في قلبها ؛ في الليل كانت ترعاه وترضعه ، وفي النهار كنت اتعهده انا تحت جناحي .

قلت : كيف كانت حال رستم واسفنديار ؟

قال : كانت على نحو بقي فيه رستم عاجزاً عن اسفنديار ، وذهب من التعب الى البيت . ابوه زال تضرع كثيرا عند السيمرغ . وفي السيمرغ تلك

---

(٢٢) الشجرة ـ في اصطلاح بعض المتصوفة ـ هي الانسان الكامل .

(٢٣) (السيمرغ) : طير خرافي ، ضخم الجسم والهيئة . والكلمة ـ في الفارسية ـ مركبة من كلمتين : (سي) بمعنى العدد « ثلاثون » و (مرغ) بمعنى طير .

(٢٤) (زال) : بطل ورد اسمه في شاهنامه الفردوسي وهو ابو رستم . (رستم) : من ابطال الفرس المشهورين ورد اسمه في الشاهنامة ايضا . (اسفنديار) : من ابطال الشاهنامه ، ابن (كشتاسب)

الخصوصية التي لو جعلوا امامه مرآة أو شبهها لكل عين تنظر في تلك المرآة تنشده . صنع زال جوشناً من الحديد مصقولا كله ، والبسه رستم ، ووضع خوذة مصقولة على رأسه ، وشد مرايا مصقولة على فرسه ، ثم ارسل رستم من أمام السيمرغ الى الميدان ، وكان اسفنديار ملزماً بالقدوم على رستم ، فلما اقترب انعكس شعاع [صورة] السيمرغ على الجوشن والمرآة ، وقعت الصورة من الجوشن والمرآة على عين اسفنديار ، انشدهت عينه ، كان لا يرى شيئاً ، توهم وتخيل ان جرحاً اصاب كلتا عينيه ، لان الاخرين كانوا منظورين [من قبله] . هوى من على الفرس وهلك بيد رستم .

سألت العجوز : أيكون ذلك السيمرغ هو الواحد الموجود في العالم فحسب ؟ قال : ذاك الذي لا يعلم يظن كذلك والا ففي كل زمان يأتي الى الارض سيمرغ من شجرة الطوبى . وهذا الذي في الارض يفنى . وهكذا دواليك . . . أنْ لم يأت في كل زمان سيمرغ فهذا الذي يكون لا يبقى [يفنى] ، وكما ان السيمرغ يأتي الى الارض من الطوبى يذهب [كذلك] الى الاثني عشر مصنعاً ؛ قلت : ايها العجوز هذه المصانع الاثنا عشر ، ما هي ؟ قال : اعلم اولا ان ملكنا حينما اراد ان يعمر ملكه عمر أول ما [عمر] ولايتنا ، لهذا شغلنا وابتنى الاثني عشر مصنعاً ؛ وأجلس في كل مصنع بضعة بضعة تلاميذ [صناع] . بعد ذلك شغل هؤلاء التلاميذ الى ان ظهر تحت تلك المصانع الاثني عشر مصنع آخر ، وأجلس استاذاً [معلماً] في هذا المصنع ، بعدها شغل ذلك المعلم الى ان ظهر تحت ذلك المصنع الاول مصنع آخر ، حينذاك شغل المعلم الثاني كذلك ، الى أن ظهر تحت المصنع الثاني مصنع ومعلم آخر ، ثم خلع على كل تلميذ من هؤلاء التلاميذ الموجودين في الاثني عشر ابتا)(٢٥) خلعة .

ثم خلع على المعلم الاول خلعة واودعه مصنعين من تلك المصانع الاثني عشر الفوقانية ، وخلع على المعلم الثاني كذلك خلعة واودعه من الاثني عشر مصنعاً الاخرى مصنعين ، والثالث هكذا . . أيضا . والمعلم الرابع خلع عليه خلعة ، كسوة اجمل من كسوتهم ، واودعه مصنعاً من تلك الاثني عشر مصنعاً الفوقانية لكنه امره بالاشراف على الاثني عشر .

واعطى الخامس والسادس مثل ما أعطى الاول والثاني والثالث ، حين وصل الدور للسابع لم يبق من تلك الاثني عشر الا مصنعاً واحداً اعطاه له ، وما خلع عليه اية خلعة ، صاح المعلم السابع [معترضاً] : انْ لكل معلم مصنعين . ولي مصنع واحد ، ولكل منهم خلعة وليست لي [خلعة] . فأمر ليبنوا تحت مصنعه مصنعين آخرين ، يولوا امرهما له ، واسس تحت كل المصانع مزرعة ، وولوا أمر العمل في تلك المزرعة ايضاً للمعلم السابع ، واجمع قرارهم على ان يعطوا المعلم السابع ـ دائماً ـ ما كان مستعملا وملبوساً او ناقصاً من كسوة المعلم الرابع الجميلة ، وكانت كسوتهم في كل زمان كسوة جديدة اخرى ؛ كمثل ما شرحنا عن السيمرغ .

قلت : ايها العجوز ، في هذه المصانع ماذا ينسجون ؟ . قال : اكثر ما ينسجون [الديبا](٢٦) ، ومن كل شيء يصل فهم احد له ، والدرع الداودية هي هذه الاغلال المتخالفة التي وضعوها عليك . قلت : هذه كيف يصنعونها ؟ .

قال : في كل ثلاثة مصانع من تلك الاثني عشر مصنعاً الفوقانية يعملون حلقة ؛ وفي تلك الاثني عشر يصنعون اربع حلقات غير تامة ، بعد ذلك يعرضون الحلقات الاربع على المعلم السابع لكي يعمل في كل منها عملا ، فان وقعت في يدي المعلم السابع ، يرسلونها الى المزرعة وتبقى مدة هناك غير تامة(٢٧) ، حينذاك يجعلون الحلقات الاربع في حلقة واحدة . وتكون الحلقات كلها مثقوبة . ثم يأسرون بازا كمثلك ويعلقون تلك الدرع على رقبته لكي تصير تامة عليها .

سألت العجوز : كم حلقة في كل درع ؟ قال : اذا امكن القول كم قطرة تكون في بحر عمان فعندها يمكن تحد ما لكل درع من حلقات .

قلت : هذه الدرع بأي شيء يمكن خلعها من الجسد ؟ قال : بسيف بلادك . قلت : سيف بلادك من اين يحصل عليه ؟ قال : في ولايتنا جلاد . ذلك السيف في يديه ؛ ومقرر ان كل درع تفي مدة معينة ان انتهت . يضرب ذلك الجلاد [الدرع] بسيف بلادك ضربة تنفك معها الحلق كلها بعضها عن بعض . سألت العجوز : هل ثمة تفاوت فيما يلحق لابس الدرع من ضر ؟ ، قال : ثمة تفاوت . قال : فبعض يلحقه الضر بالشكل الذي لو كان

---

(٢٥) لعلها (مصنعا) لتشابه اللفظتين في الفارسية .

(٢٦) نوع من القماش الحريري الملون .

(٢٧) اي الحلقات .

لاحد من العمر مائة سنة ، وفي خلال عمره يفكر دوماً عن جوهر اي الم هو اصعب ، وكل الم كان ممكنا يورده في خياله : لا يصل خاطره مطلقاً الى الم جرح سيف بلادك . وبعضهم كان أسهل [عليه].

قلت : ايها العجوز ماذا اعمل لكي يكون سهلا علـي ذلك الالم ؟ قال : اعثر على عين ماء الحياة ، ومن تلك العين صب الماء على راسك لكي تصفر هذه الدرع على جسمك وتكون آمناً من جرح السيف ، لأن ذلك الماء يضيق هذه الدرع ، فان فسـاقت الدرع سهل جرح السيف .

قلت : ايها العجوز اين هي عين ماء الحياة ؟ قال : في الظلمات ، ان كنت طالباً لها فكخضـر [النبي] البس في رجليك نعالا [خاصة] (٢٨) ، والزم طريق التوكل لتصل الى الظلمات ، قلت : الطريق، من اي جانب ؟ قال : من كل جهة تذهب إنْ تسر تعرف الطريق ، قلت : ما هي علامة الظلمات(٢٩) ؟ قال : السواد وانت نفسك في الظلمـات لكنـك لا تعلـم .

من سار في هذا الطريق إنْ وجد نفسـه في الظلمات فليعلم انه كان قبل ذلك في الظلمة ايضا، ولم ير النور بعينه ابداً . لذا فهذه اول خطـوة السائرين ، ومن هنا امكن ان يرتقوا ، الآن اذا وصل احد الى هذا المقام فمن هنا كان ممكناً له ان يتقدم.

طالب عين ماء الحياة سيتحمل في الظلمات كثيرا من الحيرة ، فان كان من اصحاب تلك العين فسيرى عاقبة امره بعد الظلمات نوراً . لذا من غير ذلك النور لا يجب الحصول عليها ، لان ذلك النور نور من السماء على ماء الحياة ، فان سـار واغتسل في تلك العين صار في مأمن من جرح سيف بـلادك .

بسيف العشق كن مقتولا لترزق عمر الابد
حتى لا يرى من سيفك احد من الاحياء(٣٠)

كل من يغتسل في تلك العين لا يحتلم ابدا ، كل من يكشف معنى الحقيقة يصل الى تلك العين، ثم اذا خرج من العين حصل له استعداد كمثل دهن البلسان الذي لو تجعل الكف قبل الشمس وتقطر من ذلك الدهن في الكف قطرة خرجت من ظاهر الكف . إن تصر خضرا يمكنك الاجتياز من جبل قاف بسهولة .

... حينما رويت لذلك الصديق العزيز هذه الحادثة . قال : انت ذلك البازي الذي في الفـخ وتصيد ؛ فها انا شدني الى سرج الجواد صيداً غـير سـيء .

انا ذلك البازي الذي في كل وقت
صيـادوا العـالم يحتـاجون لي

صيدي غزلان سود العين من ينثروا الحكمة من عيونهم كالدمع [كشـرار النار] بعيـدون ـ قدمنا ـ من هذه الالفاظ

ناحتون ـ بقربنا ـ من هذه المعاني(٣١)

تمت الرسالة بحمد الله وحسن توفيقه

والصلاة على خير خلقه محمد وآله اجمعين

---

(٢٨) يذكر عن النبي خضر بانه كان يلبس نعالا خاصا لكثـرة تجواله ، والعبارة هنا كناية عن كثرة المشي وبعد المسافة .

(٢٩) الظلمة : قد تطلق على « العلم بالذات فانها لا يكشف معها غيرها » « اذا العلم بالذات يعطي ظلمة لا يدرك بها شيء كالبصر حين يغشاه نور الشمس عند تعلقه بوسـط قرصها الذي هو ينبوعه فانه حينئذ لا يدرك شيئا من المبصرات » الاصطلاحات الصوفية ، والتعريفات ص ٧٦ .

(٣٠) البيت في الفارسية :
بتيغ عشـق شو كشـته كه تاهر آبد يابى
كه آن شمشير تولختى نشان ندهد كسى احيا

(٣١) الابيات في الفارسية :
من آن بازم كـه صـيادان عالـم
همه وقتـى بمن محتـاج باشـند
شكار من سـيه چشـم آهوانـد
كم حكمت چون سرشك آن ديده پاشند
ببيـنش ما آزين آلفـاظ دورنـد
بنـزد مـا ازيـن معنـى تـرا شـند